

نفحات القرآن

[150] يدعو الله في قلبه حينما تبدو ظلمات المشكلات ، وعندما يُبتلى بمشكلات عويصة

وكبيرة يقوم بتلفظ ما في قلبه ويتضرع إلى الله ويلتمسه . ومن المحتمل أن يقصد هذا التعبير حالات الفئات المختلفة ، فبعضها يدعو الله جهاراً في مثل هذه الأحوال وبعضها يدعو خفياً وكأنها تشعر بالخجل أمام الأصنام ! أو من الناس الذين عرفوا أنها تعبد الأصنام فلماذا لا تلجأ إلى الأصنام في المشكلات؟! على كل حال فإنها ترجع إلى فطرتها في مثل هذه الأحوال وتستضيء قلوبها بنور التوحيد وعبادة الواحد ، وترفض كل ما سواه وتنسى كل ما يذكرها به تستيقن بأن الأصنام ليست أهلاً ، وعبارة الأصنام لا فائدة فيها ولا سبيل إلا التوحيد . في مثل هذه الأحوال تعاهد الله وتنذر وتعهّد بأنّه إذا أنجاها من هذه الشدائد والآلام وأذاقها حلاوة اللطف والرحمة فإنها ستبقى شاكرة ومدينة ورهينةً للطفه ، ولكنها بعد الخلاص من المضائق تنسى - في الغالب - كل عهودها وتعهداتها ، كما يشير إلى ذلك ذيل الآية : (قُلْ إِنْ يُنْجِيكُمْ مِنْهُمَا مَنْ لَمْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَذَرْهُمْ حَيْثُ هُمْ) (1) . وكما ذكرنا فإن هذه الحالة هي حالة أغلب المشركين ، وأمّا الفئة التي لها قابلية أكبر فإنها تتيقن بصورة دائمة وتبصر طريقها وتهجر الشرك . من مجموع الآيات التي ذكرت تظهر هذه الحقيقة وهي : أن القرآن الكريم لا يعدّ غريزة المعرفة الإلهية في الإنسان أمراً فطرياً وحسب بل يعتبر الإيمان بوحدايته من الأمور الفطرية أيضاً ، وبما أن الفطرة الأصلية في الإنسان تتعرض في الغالب إلى حجاب الرسوم والعادات والأفكار المنحرفة والتعاليم المغلوطة فينبغي إنتظار تلك الساعة التي تزول فيها هذه الحجب ، من هنا فإن القرآن يشير إلى لحظات حساسة في حياة الإنسان وذلك عندما تزول الحجب ، من هنا فإن القرآن يشير إلى لحظات حساسة في حياة الإنسان وذلك عندما تزول الحجب ، من هنا فإن القرآن يشير إلى لحظات حساسة في حياة الإنسان وذلك عندما تزول الحجب .

الحجب _____ 1 - الكرب : يعني الغمّ والهمّ الشديد .